شباب العرب

بين القديم والجديد

ملخصة من خطبة الاستاذ الدكتور منصور فهمي في (مدرسة روضة المعارف) بالقدس ، ألقاها بدعوة من النادي العربي يوم الجمعة ٢ ذي الحجة عام ١٣٤٢

تحت هذه السماء التي تبعث النور الى الارض وهاجاً ، وعلى هذه الارض التي أقام عليها الاولون من زمن بعيد لله بيوتاً ، أقف شاكراً الله اذ جعل لي منكم أصدقاء أوفياء ، دفعني الحرص على ودهم ، والرغبة في مبادلتهم الحديث والفكر ، الى زيارة هذه الربوع

كأني بالصحراء التي تناخم بلادكم تهيء لكم خيولها لتكونوا فرسانها ، وتملأ نفوسكم بأساً ، وتعود جسومكم خشونة ، وترفع أنوفكم بالعزة ، وتطوف بأذهانكم في عالم الخيال ، وتفيض على قلوبكم الطهر والسذاجة ؛ وكأني بالغرب من جهة أخرى يقطع اليكم البحر يعرض عليكم بضاعته ، كأنه يريد أن يسربل جسومكم باللين والنعومة ، ويشحن رءوسكم بالعلم والشكوك ، ويولد في نفوسكم الاثرة ، ويجعل هدف أبصاركم اللذات — هذا الموقف الرهيب بين البداوة والحضارة ، من شأنه أن يجعلكم تترددون بين هذا وذاك

وبين ماتذكرونه من الماضي وما تقعون فيه من شئونكم الحاضرة ، تتنازع نفوسكم ويأخذها القلق ، وكم من مرة تسألون أنفسكم :

— كيف يكون المخرج ؟

المخرج عندي أن تتوجهوا الى الاغراض العالية ففيها لكم شفاء ، وتتلمسوا العظمة الصادقة في القيام بالواجب دائماً

العظمة الصادقة هي متناول كل الناس : فكل انسان من أي طبقة كانت يستطيع أن يكون عظيماً

لكي يكون الانسان عظيماً في نفسه ، فليكن عاملاً مؤثراً في محيطه . واذا قلت عاملاً مؤثراً فانما أعني أن يكون عاملاً للنفع لا للضرر ، أن يكون عاملاً للوجود لا للفناء ، أن يكون عاملاً للقوة لا للضعف ، أن يكون عاملاً للنور لا للظلمة

أتاجر صغير أنت ؟ اذا كنت كذلك وأحسنت القيام بواجب التجارة من الامانة والصدق ، فأنت عظيم

أصانع صغير أنت ؟ فان تعهدت صناعتك بما يرقيها ويحسنها ، وان استثمرت عملك على مايقتضيه واجب الاستثمار ، فأنت عظيم

أأب أنت ؟ فان عرفت كيف تتعهد أبناءك بالتربية الحسنة ، كيف تكون عطوفاً عليهم ، قواماً بالواجب ، فأنت عظيم

أما اذا كنت من أصحاب الارادات الكبيرة ، والهمم العالية ، فدفعك واجبك ، فلبته ارادتك وهمتك ، فاستطعت أن تحوّل الجبال سهولا ، والصحراء جناتٍ وبساتين ، وعملت لمصلحة الناس مايعجز عنه سائر الناس ، فأنت عظيم من درجة عالية ...

أعذر الانسان اذا لم يكن عظيماً من درجة عالية ، ولكني لا أعذره اذا كان غير عظيم مهما قلّت وسائله

هذه هي العظمة العامة التي ينبغي أن يسمو اليها كل واحد باعتبار أنه فرد في المجتمع

ولكن هناك صنفاً آخر من العظمة يجدر بكل انسان يريد أن ينتمي لقوم بعينهم أن ينال منها نصيبا ، وتلك العظمة هي مايصح أن نصطلح على تسميته بـ (العظمة القومية). ان الامم التي ننتمي اليها لها حياة أخرى فوق حياة الافراد ، وللامم حاجات من الرقي غير حاجات الافراد ، ولها مطامع في الكبرياء والمجد . فواجبنا اذا أردنا أن نكون عظماء في نظر أممنا أن نعمل في بناء مجدها ، ونؤدي اليها الواجبات التي يقتضيها بناء الامم ورقيها

ان الامم التي ننتمي اليها يتنازعها اليوم القديم والحديث ، فتارة تسمع صوتاً ساحراً من تاريخها القديم المجيد فيفتنها ويسحرها ، فتغض الطرف عن كل مايلوح لها من جديد ، وتارة أخرى يخطف أبصارها بريق الجديد فتصم آذانها عن سماع صوت القديم ، فواجبنا أن لانتصامّ عن نغمة طيبة تأتينا عن تاريخنا القديم ، وأن لا نفرّط في شيء من تقاليدنا الجميلة ، ومفاخرنا المعروفة . كما أنه من الواجب علينا أن لانحجم عن الدخول في غمار الجديد الصالح

لاتتعصبوا للقديم فينسيكم فضل الجديد ، ولا تتعصبوا للجديد فتأخذوه بترابه وتبره وأنتم تحسبون ترابه تبرا ...

فاذا دعونا لم الى اقتباس بعض النظم الغربية التي يضطرنا اليها تنازع البقاء ، ولا تنافي جمال ماضينا ، فذلك لأننا نريد أن نسلحكم بسلاح تقفون به أقوياء بجانب القوي ...

مرحباً بالجديد اذا كان لنا فيه عزة ومنعة وقوة ، وسحقاً لهذا الجديد اذا ضيع علينا ميراث الآباء من كرم ، وحياة ، ومروءة ، وصدق ، وإيمان بالله ...

أنتم أيها الشبان الناهضون مكلفون أن تمدوا أمتكم بما يصلح لبناء مجدها من قديم وجديد ، من مدنية الشرق ومدنية الغرب

انتم مكلفون ، لأنكم لم تنقطع صلتكم بالماضي ، ولأنكم أقرب الى المستقبل

أنتم مكلفون ، لأنكم مملوءون نشاطاً وقوة وحماسة . ومن يملك النشاط والقوة والحماسة فهو المسئول عن العمل ، وتحقيق الامل

الحماسة من خصائص الشباب ، والنشاط من ميزاته . وان تلك الشعلة الربانية التي تتقد في الصدور لاينبغي أن تطفأ ، لأنها هي التي تدفع الشباب للمجد ، هي التي تدفعهم للسير في سبيل الرقي ، هي التي تغذي قوائم لينهضوا بالامم من الجمود الى الحركة ، هي التي تقوي عزائمهم ليطرحوا عن مناكبهم نير

القديم ، ويحملوا أثقال المستقبل . . .

اذا احترمنا تلك النار المقدسة التي تتجلى في حماسة الشباب فلأنها الصالح. لكن اذا ساء أثرها ، فالتهمت الحياء الذي يجب أن يزدان به جبين الشباب ، فساقهم التطرف الى ازدراء الآباء ، واحتقار كرامتهم ، فبئست تلك الحماسة . . .

وهنا لايسعني إلا أن أقول آسفاً : ان الحياء الشرقي الذي كان يحني رءوس الشبان أمام وقار الشيوخ قد أخذ ينضب قليلاً قليلا . فحذار ! حذار ! أن تضيعوا ماء الحياء ، فليس الحياء ضعفاً ، وليست القحة قوة . . .

نصحتكم فيما تقدم أن تسموا الى عظمة القيام بالواجب التي ينبغي أن يسمو اليها كل انسان ، ونبهتكم الى واجبكم وأنتم أبناء نهضة شرقية يلتقي فيها القديم والحديث . والآن أحدثكم كأبناء قسم من تلك المجموعة العربية التي تجمعها أواصر اللغة والادب والتاريخ ، أحدثكم ـ كأبناء فلسطين ـ بكلمة موجزة :

انكم ترعرعتم بين هذه النجاد التي تختلط بذكريات الانبياء والقديسين ، وطالما سمعت آذانكم ـ وأنتم في المهد ـ أصوات الدعوة الى الله من نواحي مختلفة . وقديماً ـ وأنتم في أصلاب آبائكم وأسلافكم ـ كنتم كأنكم تستقبلون ألواناً من البشر يحجون اليكم ، ويذرفون دموع التوبة ، فتشرب أرضكم تلك الدموع ، ويلصقون جباههم بجدران هياكلكم ومعابدكم ، ويتنفسون من هذا الجو الذي تتنفسون منه والذي تنفس منه الانبياء من قبل . فاذا كان من نصيب أبناء العرب أن تختص كل فئة منهم بدعوة من الدعوات ، فتدعو هذه الى مجد الصناعة ، وهذه الى مجد العلم والفن ، وهذه الى مجد الحضارة والمدنية ، وهذه الى مجد الحديد والنار ، فما أجدركم ـ أبناء فلسطين ـ أن تكون دعوتكم الى الخير ،

أن تكون دعوتكم الى الكمال ،

أن تكون دعوتكم الى الله . . .